أضواء على بعض ممارسات الزعر فى مصر فى العصر الفاطمى
(٣٥٨ – ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ - ١١٧١ م)

إعداد

أشرف خليل إبراهيم خليل شعلان

أ.د أحمد عبد السلام ناصف

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية كلية الآداب_ جامعة طنطا

د. محمد السيد فياض

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة المساعد كلية الآداب _ جامعة طنطا

المستخلص:

يعتبر التاريخ الاجتماعي المتصدي لعناصر المهمشين والمنسحقين هو التاريخ الجديد ، وهو التاريخ الحقيقي الذى يصور الفاعلين الأساسين فى حركة التاريخ ، وفى الواقع فإن هذه الورقة تناقش بعض الملامح الخاصة بإحدى عناصر جماعات المهمشين وهم الزعر الذين شكل وجودهم صداع مزمن في رأس السلطة والمجتمع.

كما يمكن وصف هذه الورقة أنها تناقش موضوع ذو خصوصية وتتأتى الخصوصية الأولى من كونها تتعلق بتاريخ العوام والمهمشين ، أما الخصوصية الثانية فتتأتى من كونها تؤرخ لدولة ذات طبيعة خاصة في التاريخ وهى الدولة الفاطمية ، وتحديداً الحياة الاجتماعية للدولة الفاطمية هذه الحياة ما هي إلا مجموعة من الأفراد والجماعات يعيشون في منطقة أو بيئة محدودة النطاق والمعالم مربوطين بزمن ما ومن الطبيعي أن تنشأ في مناخ هذه البيئة طوائف متعددة من الظواهر والاتجاهات ومظاهر السلوك فيها حيث تتقابل عواطفهم وتتلاقى وجهات نظرهم وتختلف رغباتهم فأعطى ذلك الوضع صورة متكاملة عن حياتهم وأنماط معيشتهم ونتج عن ذلك البناء نظما لتنظيم الحياة فيه . وفى ظل النظم المختلفة ظهرت فئات المجتمع في مصر في العصر الفاطمي وانقسم المجتمع المصري في العصر الفاطمي الى طبقتين من حيث الإطار العام طبقة الخاصة تلك الطبقة التي كانت على قمة الهرم الاجتماعي وتمتعت بالحياة الرغدة والغنى والعيش الهادئ وتولوا المناصب العليا في الدولة وكان هؤلاء عددهم قليل مقارنة بالطبقة الأخرى وهى طبقة العامة.

أما عن تعريف الزعر فالزعارة هي شراسة الخلق ورجل زعرور سيء الخلق ورجل زعير قليل المال وأهل الذعار: العيارون الذين يترددون بلا عمل، ويخلون النفس وهواها

الكلمات الافتتاحية: الزعر ، العصر الفاطمي ، المهمشين.

يعتبر التاريخ الاجتماعى المتصدى لعناصر المهمشين والمنسحقين هو التاريخ الجديد ، وهو التاريخ الحقيقى الذى يصور الفاعلين الأساسين فى حركة التاريخ ، وفى الواقع فإن هذه الورقة تناقش بعض الملامح الخاصة بإحدى عناصر جماعات المهمشين وهم الزعر الذين شكل وجودهم صداع مزمن فى رأس السلطة والمجتمع .

كما يمكن وصف هذه الورقة أنها تناقش موضوع ذو خصوصية وتتأتى الخصوصية الأولى من كونها تتعلق بتاريخ العوام والمهمشين ، أما الخصوصية الثانية فتتأتى من كونها تؤرخ لدولة ذات طبيعة خاصة فى التاريخ وهى الدولة الفاطمية ، وتحديداً الحياة الاجتماعية للدولة الفاطمية هذه الحياة ما هى إلا مجموعة من الأفراد والجماعات يعيشون في منطقة أو بيئة محدودة النطاق والمعالم مربوطين بزمن ما ومن الطبيعي أن تنشأ في مناخ هذه البيئة طوائف متعددة من الظواهر والاتجاهات ومظاهر السلوك فيها حيث تتقابل عواطفهم وتتلاقى وجهات نظرهم وتختلف رغباتهم فأعطى ذلك الوضع صورة متكاملة عن حياتهم وأنماط معيشتهم ونتج عن ذلك البناء نظما لتنظيم الحياة فيه . وفى ظل النظم المختلفة ظهرت فئات المجتمع في مصر في العصر الفاطمي وانقسم المجتمع المصري في العصر الفاطمي الى طبقتين من حيث الإطار العام طبقة الخاصة تلك الطبقة التي كانت على قمة الهرم الاجتماعي وتمتعت بالحياة الرغدة والغنى والعيش الهادئ وتولوا المناصب العليا في الدولة وكان هؤلاء عددهم قليل مقارنة بالطبقة الأخرى وهى طبقة العامة .

الدراسات السابقة :

أحمد السيد الصاوي : مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج ، دار التضامن للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨.

محاسن الوقاد : الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، سلسلة تاريخ المصريين ١٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م .

نجوى كمال كيرة : حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي "٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م" ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

حسن عياش: حركة الأحداث في دمشق خلال الحكم الفاطمى٣٥٩-٤٦٨هـ/٩٦٩-١٠٧٥م،بحث منشور بمجلة جامعة النجاح للأبحاث ،العدد٢٣،٢٠٠٩م .

محمد فياض :عناصر النهب واللصوصية فى مصر فى العصر الفاطمى ، بحث منشور فى مجلة المؤرخ العربى ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠١٥ .

رشا فؤاد محمد حسن النمكي: الزعر والحرافيش في مصر في العصر المملوكي "٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٢م .

محمد غنيم محمد الصياد : الطواف الحرفية ودورها فى الحياة العامة فى مصر الاسلامية في عصر الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٦ .

تعريف الزعر لغوياً وإصطلاحياً :

الزعارة هى شراسة الخلق ورجل زعرور سيء الخلق ورجل زعير: قليل المال وأهل الزعار: العيارون الذين يترددون بلا عمل، ويخلون النفس وهواها [١] ، والزعر والزعارة : تعني صاحب الخلق السيء ويقال زعر الرجل زعراً أي ساء خلقه وقل خيره من فعل زعر والأزعر هو سيء الخلق وجمعها زُعير، فالزعار والزعرة ، والزعر جمع زاعر وهو اللص والمحتال والحرفوش والشخص الذي يحتال على الناس وظهروا أثناء الأزمات. [٢]

وقد شكل الزعر والحرافيش أحد أهم شرائح الطبقة الدنيا في مصر في العصر الفاطمي ، فعبروا عن فئة ذات خصوصية تاريخية ، فهي شريحة عانت من التهميش والإقصاء وشظف العيش ، كانت عانت أيضاً من تصوير المؤرخين لهم فلقد كان المفهوم الطبقي لدراسة التاريخ غائباً عن معظم المصادر التاريخية ، فالناس في نظرهم أهل سيف وأهل قلم وما دون ذلك فغثاء لا يستحقون الاهتمام ولا التسجيل [٣] .

---

[١] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ت) ، ج٤، ص٢٨٦، ٣٢٣؛ البقاعي: إظهار العصر لأسرار أهل العصر المعروف بتاريخ البقاعي، تحقيق محمد سالم بن شديد العوافي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٩٩٣م ، ج١، ج١، ص٣٢٤، هامش١؛ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م ج٢، ص٦٥٨، ٦٦٣، ٦٧٠؛ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالفتاح الحلو، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٨٦م ، ج١١، ص٢٠١، ٢٧٠ –٢٧٣؛ محمد رجب النجار: حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٤١م، ص٨، هامش ١؛ كريمة محمد: المفهوم اللغوي للعامة، بحث منشور بكتاب ثقافة الفقراء "دراسة في بنية وجذور الثقافة المصرية"، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٤٩، ٥٠؛ رشا فؤاد محمد حسن النمكي: الزعر والحرافيش في مصر في العصر المملوكي "٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٢م، ص١٥، ١٦.

(٢) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٩ م ، ص٢٨٨ ؛ محمد النجار : حكايات الشطار والعيارين ، ص٨ ، هامش ١ ؛ رشا فؤاد : الزعر والحرافيش ، ص١٥ ، ١٦ .

(٣) من الدراسات الهامة التي تصدت لهذه الإشكالية دراسة رشا النمكى : الزعر والحرافيش في مصر في العصر المملوكي "٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٢م ، وعن الدراسة الجادة التى أرخت لجانب كبير فى هذه القضية الدراسة الرصينة : نجوى كمال كيرة : حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي "٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م" ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، وكذلك دراسة عناصر النهب واللصوصية فى مصر فى العصر الفاطمى ، بحث منشور فى مجلة المؤرخ العربى ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠١٥ .

ومن الجدير بالذكر فينظر للزعر وغيرهم من الطبقات المعدمة على إنهم الأفراد الذين تراكموا على هامش المؤسسات وصاروا ضد المؤسسات القائمة، نظر إليهم المجتمع في كل الأحيان بأنهم الهامشيون والشاذون عن المجتمع فهم رعاع وسوقه وأوباش، رجالاً ونساء بدون عمل محدد ومستبعدون من ساحة المجتمع الفعلية [١] ، وقد نظرت الطبقات الحاكمة أيضاً في العصر الفاطمي الى الزعر والحرافيش نظرة دونية باعتبارهم عالة على المجتمع ولا يفيدوه في شيئا ولا يرجى منهم نفعا ، وعلى كاهلهم وقعت المغارم والضرائب الثقيلة وفى الوقت ذاته تمتعت الطبقات العليا بالثراء الفاحش دون غيرهم. [٢]

وفى واقع الأمر فإن الباحث عليه أن يوضح قضية هامة وهى تداخل المصطلحات المعبرة عن ذات القضية فالمصادر فى نصوصها لم تقتصر فقط على مصطلح الزعر والحرافيش بل ذكرت الممارسات تحت مسميات أخرى تعبر عن رؤية الشرائح العليا في المجتمع لها وكذلك رؤية النظام الحاكم في ضوء التناقض الطبقي بين المماليك –الطبقة العسكرية- الذين كونوا لأنفسهم مجتمعا خاصًا بها انعزلوا من خلاله عن العامة –الطبقة المدنية- وهذه الفئات العاطلة من "الزعر" و"الحرافيش" و"الشطار" و"العياق" و"الأوباش" و"الكسابة"، و"المناسر" (السراق) و"الصبيان" و"الفتيان"، ووصفهم بالغوغاء والدهماء وأرذل العامة، أوغاد العامة، غوغاء العامة أوباش العوام .الزعر أو الزعران أطلق على عناصر من الطبقات الشعبية غير المرغوبة من قبل الحكام وباقي أفراد الشعب، وهي على قدر من التنظيم والدراية وتتكون من فئة الشباب غير المتزوجين غالبا، ذوي الطبيعة الإجرامية [٣] ، وتتداخل مصطلحات أخرى فى ذات الإطار الإطار مثل الغوغاء أو "الغاغة من الناس هم الكثير المختلطون" [٤] ، وكذلك الأحداث وهى كلمة مشتقة من الحدث أي الشاب الفتي حديث السن وظهر لفظ حدث لأول مرة في عهد عمر بن الخطاب[٥] ، وكذلك طائفة المشاعلة وهم حملة المشاعل في المواكب وغيرها، كإحدى أبرز

---

[١] غوستاف لوبون : سيكولوجية الجماهير ، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص ٢٨ والتي تليها ؛ محمد فياض : التشيع الشعبى فى العراق ، روافد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٦ ، ص ٢٢٣.

[٢] محمد رجب النجار: الشطار والعيارون في التراث العربي، عالم المعرفة ،١٩٨١،ص ١٩٣.

[٣] راجع : محمود إسماعيل : المهمشون في التاريخ الإسلامي ، دار رؤية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص١٢٦ ، ١٢٧ ؛ رشا فؤاد : الزعر والحرافيش ، ص٢٩ .

[٤] راجع :الطرطوشي : سراج الملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٢٤٥ ، المقريزي : – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، بيروت – دار الكتب العلمية ،١٩٩٨م، جـ ١، جـ ١ ، ص ١٢٦.

[٥] انظر : ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج٢ ، ص١٣١–١٣٤ ؛ الفيومي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق خضر الجواد، مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٨٧م، ص٤٨ ؛ الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ط٣، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٣٠١هـ ، ج١ ، ص١٦٢ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له محمد حسين شمس الدين ، بيروت– دار الكتب العلمية، ١٩٧٣ ، جـ ٤ ، ص ١١٤الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ج١ ، ص٢٧٨ ، ٢٧٩ ؛

العناصر المشكلة لقطاع الطبقات الشعبية، لدرجة أن البعض قد اعتبر هذه الفئة في مصر من الطبقة الوضيعة فيشتغلون بالأعمال الحقيرة مثل كنس الطرقات وكسح الأفنية وتنفيذ الإعدام في المحكوم عليهم وفي نفس الوقت قاموا ببعض أعمال الشرطة[١] ، وهناك فئة أخرى من جماعة الزعر وصفهم شيخ المؤرخين تقي الدين المقريزي بالشجاعة يقال لهم الأوبراتية وتميزوا بالقوة الجسدية والشجاعة والجمال.[٢] وذكروا أيضاً بلفظ الشلق سيء الخلق الذي يعمل على بث الخوف بين الناس ووصف العيارون بالزعر بمعنى عايق وقاطع الطريق[٣] ، فضلاً عن الحرف التي عرفت بالرذيلة[٤] .

وكيفما كان الأمر فقد اتسعت هذه الشريحة لتضم غالبيتهم وضموا الحرفيين والفلاحين والتجار الذين تضرروا من من مفاسد الإقطاعية، فضلا عمن وصفوا بأهل الشر من اللصوص وقطاع الطرق، وينضم إليهم البغايا والمغاني والمشعوذون والمتصوفة المقيمون بالزوايا[٥] والخوانق[٦] والعديد من المواضع[١].

الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، ج٥ ، ص٢٠٥-٢١٢ ؛ محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي ، ص١١٤ .

[١] سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م ، ص ٣٨.

[٢] الأوبراتية : اسم يطلق على قبائل مغولية استوطنوا حوض نهر ينسى وسط آسيا وفدوا إلى القاهرة في عهد الملك العادل زين الدين كبتغاو كانوا مشهورين بالملاحة والجمال وعرفوا بالزعار. لمزيد من التفاصيل انظر : بيبرس المنصوري : التحفة المملوكية في الدولة التركية ، تحقيق عبد الحميد حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ١٤٦ ؛ المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٢٣.

[٣] سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٩٤ م ، ص ٤٥٣ ؛ رشا النمكي : الزعر والحرافيش ، ص ١٣ .

[٤] أمينة أحمد إمام الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ٢٨٦.

(٥) الزوايا : مفردها الزاوية هي: بناء صغير مخصص للصلوات الخمس، ما عدا الجمعة والأعياد وبدون مئذنة في الغالب، وهي إمَّا أن تكون قائمة بذاتها أو ملحقة على منشأة دينية أو مدنية . عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص١٢٨؛طارق محمد المرسي: الزوايا في العصر المملوكي بالقاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٨ .

(٦) الخوانق : مفردها الخانقاة لفظة فارسية تتكون من كلمتين خان وقاه أى بيت الأكل أو المكان الذى يأكل فيه الملك، وصارت تعنى دار الصوفية وبيتهم الذي ينقطعون فيه للعبادة والتزهد، ويَتَلَقَّون فيه علومًا أغلبها دينية ، وهو من الخنق لتضييقهم على أنفسهم ، وقد كَوَّنت كل خانقاه وحدة قائمة بذاتها بداخلها عدد معين من الخلوات كل منها لأحد الصوفية .

لقد كان الأمر فقد كان قوام هذه الطبقات الفقيرة المعدمة من عوام الشعب التي تعيش على هامش المجتمع وفي سفحه ، والتجار منهم إنما هم باعة الطرق مما يتجرون في محقرات البيوع والصناع من هم صغار الحرفيين من يعملون في الحرف المحقرة ، ولا غرو أن يكون فيهم الأفاقون والمتشردون والعاطلون والمشاغبون والمكدون (المحتالون والشحاذون) والمغامرون والمخمورون والمخدرون والفساق واللصوص وغيرهم من المشبوهين الذين هم أرباب السجون دائماً[٢] .

وفى الواقع فقد سادت حالة من عدم العدالة فى توزيع الثروة فى المجتمع، لقد تدفقت هذه الثروات على كبار الأمراء وكذلك كبار رجال الدولة [٣]. فزاد الفقر بين العوام دفع لجأ البعض من الخاصة والعامة إلى إختلاس الأموال، وكذا فقد زادت معاناة المعيشة لدى العوام رغم ثراء الدولة وظهرت المحاباة بشكل واضح ، كما انتشرت السرقة واللصوصية بشكل جلى وخصوصاً في ظل غياب الرقابة وزادت مظاهر الفساد بين الناس[٤].

وفى ذات الإطار فإن هذه الفئات كانت توزع عليهم الصدقات فى المناسبات والأعياد أو عند خروج الخليفة للنزهة، فيتصدق الخليفة على الفقراء والمحتاجين على امتداد طريق سيره من قصره حتى المكان الذى يذهب إليه للنزهة وكذلك فى العودة [٥]. فقد نال الناس منهم الكثير من تلك المناسبات المختلفة من الأموال والأطعمة والأكسية، وأنواع الحلوى الكثيرة ، وتساوى فى الحصول على ذلك الأغنياء والفقراء على السواء ، فضلاً عن صدقات الوزراء، حيث كان الوزير "اليازوري" كثير الصدقات حتى أنه كان قد كلف شخص مسئول عنه لذلك ، وأما الوزير"المأمون البطائحي" كان له عناية هو الآخر بالتصدق على الفقراء، وخاصة متولين المساجد من مقرئين وغيرهم من الضعفاء والمساكين، وكذلك قد عنوا الوزراء أهل منطقة القرافة فبذلك كان قد سلك الخلفاء الفاطميون باستمرار سياستهم من أجل احتواء هذه الفئة بالذات لأنها تمثل العدد الكبير من سكان بلاد مصر ، ربما حتى يسهل استخدامهم ضمن مصالحهم

المقريزي: الخطط ، ج٣، ص٥٦٧؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص١٨٦، ١٩٠ ؛ أحمد عبد السلام ناصف: دور الصوفية فى صد الهجمة الصليبية على ديار الإسلام فى مصر والشام، رسالة دكتوراة غير منشورة ، آداب طنطا، ١٩٨٩، ص٦٦.

(١) محمود اسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي "طور الانهيار ١"، الخلفية السوسيو – تاريخية، سينا للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٤٥.

(٢) محمد عبدالمولى : العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي، مؤسس شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ت. ، ص ٤١ .

(٣) تيسير شادي: الفساد في العالم الإسلامي دراسة سياسية حضارية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)،دار التعليم الجامعى، ص ٣٠٧.

(٤) تيسير شادي: الفساد فى الدولة الفاطمية ، ص ٣٠٨.

(٥) المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٤٤٦ ؛ سليم الشريرى : الهبات والعطايا في مصر زمن الفاطميين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة طنطا ، ٢٠١٧ ، ص ١٠٩ والتى تليها .

لأنهم يمثلون قوة مهمة فى المجتمع ، الأمر الذى جعل الساسة الفاطميين من الاعتماد عليهم فى معاونتهم ضد أعدائهم ، فقد عمت الصدقات والاعطيات على العوام والفقراء بصفة عامة فى عديد الركوبات التى كان يترأسها الخلفاء على طول العام، حيث كان الخليفة يركب فى كل يوم سبت وثلاثاء إلى منتزهاته بالبساتين وبذلك تكون مصدر للصدقة من مأكل ، ومشرب وحلويات وغيرها ، وقد أولت الخلافة الفاطمية اهتمامها بالمساعدة والعطف على هؤلاء لاسيما الذين كانوا في خدمتهم، والقريبين منهم سواء فى قصورهم وأماكنهم الخاصة [١].

حتى أن العوام أنفسهم إبّان بعض المناسبات مثل الأزمات والكوارث وبدافع الفقر والعوز تحولت ممارستهم وقتها للممارسات زعارة ، رغم أن السياق العام لتاريخ العوام أنهم طبقة محترمة رغم ضيق أحوالهم الاقتصادية وهشاشتهم الاجتماعية ، فكل فرد من الزعر هو من العوام ، ولكن ليس كل فرد من العوام زعر ، اللهم إلا فى بعض الأوقات التى انحرفت ممارسات العوام الإجتماعية تحت ضغط الظروف لتقدم لنفسها هوية أخرى لا تخرج بأى حال من الأحوال عن هوية الزعر والحرافيش [٢].

لقد مارس الزعر فى مصر فى العصر الفاطمى ممارسات عنيفة أخلت بالأمن العام للمجتمع مثل قطع الطرقات، فكانوا يخطفون متاع المارة من الناس [٣] وكان الناس يشعرون بالخوف من الذعار وخندق الناس خنادق" على الأزقة والشوارع [٤] ، فضلاً اغتصاب النساء وأخذ الإتاوات من التجار ورواد الأسواق [٥]كسرهم للدكاكين ونهب ما فيها وكذا إشعالهم للحرائق وخطفهم لثياب المارة [٦] مما أدى في كثير من الأحيان لإخلاء الأسواق من كافة المتعاملين بها[٧] ، كما كما نهبت الزعر حارة الوزيرية التي كانت كلها سكناً للأرمن كما نهبوا كنائسهم وقبورهم[٨] ،

---

[١] سليم الشريرى : الهبات والعطايا ، ص ١١٠ والتى تليها .

[٢] محمد فياض : عناصر النهب واللصوصية ، ص ٦٦ .

[٣] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م ، ج ١ ، ص ٢١٧ ؛ أحمد السيد الصاوي : مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج ، دار التضامن للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨، ص ٦٧ ، ص ١٠٥ .

[٤] المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٣٠ ؛ محمد فياض : عناصر النهب واللصوصية ، ص ٧١ .

(٥) المسبحى : أخبار مصر فى سنتين ، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص ٦ ؛ محمد غنيم محمد الصياد : : الطواف الحرفية ودورها فى الحياة العامة فى مصر الاسلامية في عصر الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٣٧

(٦) ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ،تحقيق صلاح الدين المنجد،القاهرة،١٩٦١م ، ج٦ ، ص ٢٩٨ ؛ محمد فياض : عناصر النهب واللصوصية ، ص ٧٠ .

(٧) الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، جروس بروس طرابلس لبنان ،١٩٩٠م، ج١ ، ، ص ٢٠٢ ؛ محمد الصياد : الطواف الحرفية ، ص ٣٧٤ .

(٨) ابن الطوير : نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين، حققه وقدم له أيمن فؤاد سيد، (النشرات الأسلامية، يُصدرها يُصدرها لجمعية المستشرقين الألمانية، أولريش هارمن؛ واريكا كلاسن، دار النشر فرانتس شتاينر شتوتغارت،

بالإضافة إلى ما حدث ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م،"تزايد وقوع النار وكثر الحرق في الأماكن فأمر الناس باتخاذ القناديل على الحوانيت، وازيار الماء مملوءة ماء، وعظم الحريق ووقعت في أمره شناعات من القول فقرئ سجل في الجوامع بزجر السفهاء، والكف عن أحوال تفعل وأن يدخل الناس إلى دورهم من بعد صلاة العشاء فأغلقت الدور والحوانيت والدروب من بعد صلاة المغرب" [١].

ولدينا العديد من الأمثلة التى ورد فيها مصطلح الزعر ففى سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م وقع فى البلاد خوف شديد، وكثر الزعار وهاجموا الدور، مما جعل الناس يسهرون على حراسة ممتلكاتهم[٢] ، وفى سنة ٣٩٣هـ/١٠٣٣م أحرق الحرافيش والزعر حارة الجودرية الخاصة بسكن اليهود على أهلها لأنهم كانوا يسخرون من المسلمين[٣]، ففي خلافة الحاكم بأمر الله ظهر أحد زعماء الزعر يدعى علاقة انتقل من القاهرة إلى مدينة صور هارباً من بطشه ومعه بعض أعوانه وأعلن تمرده على الدولة الفاطمية وقام بقتل موظفي الدولة وانضم إليه أعوان آخرون من الزعر فأعلن استقلال مدينة صور عن الخليفة الحاكم بأمر الله. [٤] ،

وفي حوادث سنة (٤١٤هـ / ١٠٢٣ م) كثر الخوف من الذعار" وخندق الناس خنادق" على الأزقة والشوارع [٥] ، كما ظهرت جماعة الندافين من الفزع ، وقد شوهدت أيام الشدة المستنصرية جماعة كانوا إذا مر بهم أحد " ندفوه ونزعوا ما عليه ورموه فى البئر "، وأيضاً زقاق " العكامين " الذي عرف بهذا الاسم نظراً لوجود جماعات " يعكمون المارة في أفواههم ثم يحملونهم الى زقاق القتلى ليقتلونهم فيه " فسمى بذلك [٦] وكذلك جماعات كوم دينار الذين كانوا يقومون بعمليات سلب ونهب للأمتعة والغلال [٧]

١٩٩٢م. ، ص ٤٤-٤٧.

(١) المقريزي، الخطط، جـ٢، ١٠٨؛ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٩٦م، جـ ٢، ١٠٥.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٨؛ -إغاثة الأمة بكشف الغمة ، دراسة وتحقيق كرم فرحات ، عين للدراسات الانسانية، القاهرة ،٢٠٠٧ م ، ص١٣؛ احمد السيد الصاوى: مجاعات مصر الفاطمية، ص٣٥ .

(٣) المقريزي، الخطط، جـ٣، ٥.

(٤) حسن عياش: حركة الأحداث في دمشق خلال الحكم الفاطمى٣٥٩-٤٦٨هـ/٩٦٩-١٠٧٥م،بحث منشور بمجلة جامعة النجاح للأبحاث ،العدد٢٣،٢٠٠٩م، ص٣٨٠.

(٥) المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٣٠ .

(٦) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بيروت ، د.ت، القسم الثاني ، ج٤ ، ص١٦ :١٨ ؛ أحمد السيد الصاوي : مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج ، دار التضامن للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨، ص ٦٧ .

(٧) أحمد الصاوي : مجاعات مصر الفاطمية ، ص ١٠٥ ؛ محمد فياض : عناصر النهب واللصوصية ، ص ٦٢ والتى تليها .

وفى النهاية فلم تكن ممارسات الزعر جميعها ممارسات متطرفة ، حيث كان هناك جانب آخر يتسم بالسلمية والتعايش فى المجتمع فعلى سبيل المثال لجأ الزعر فلجأوا للمقاومة اللسانية أو القولية والتي تمثلت في الشعر المصري وهو متصل بالأحداث التي تقلبت على المصريين وعبرت عن واقع عاشته تلك العناصر الشعبية الوضيعة وقاسي منه أفراد هذه الطبقة (١) .

كما كان الزعر ينتظرون الموالد أيضا والانشاد للترفيه عن أنفسهم كما أقبلوا أيضاً على الترفيه والتسلية بالذهاب إلى المنتزهات ولا سيما في أيام فيضان النيل ، حيث تكون أرض مصر خلالها على أجمل ما يكون بما في ذلك منتزهاتها المشهورة وكان النيل متنزه لهم حيث يستأجرون المراكب ، وكانت القرافة أيضا لها خصوصيتها بالنسبة لهم حيث اتخذوها مكانا للترويح عن النفس (٢) .

وبطبيعة الحال فقد اتسمت حياتهم بالفقر والعوز والتقشف فقد كانت القاهرة في العصر الفاطمي بها عدد كبير من هذه المجموعات بلا مأوي في النهار والليل سوى الطرقات ليهيمون بها وأجسادهم شبه عارية ، وتفاوتوا في تقدير هؤلاء ما بين الخمسين والمائة ألف (٣) .

كما مارسوا أيضاً أنشطة تساعدهم على المعاش حيث تواجد الزعر بالأسواق التي ارتبطوا بها وكانوا يشاهدون ما فيها من بضائع ومن أسواق القاهرة في العصر الفاطمي سوق الشرايحيين ويعتبر أول سوق أنشئ بالقاهرة في خلافة المعز لدين الله الفاطمي في عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م وعرف بعد ذلك بسوق الشوايين ، وقد وجدت في هذا السوق عدة حوانيت لعمل مناخل الدقيق والغرابيل ويقابها في الجانب الاخر عدة حوانيت لعمل الأغلاق المعروفة باسم الضبب ، ومن الأسواق الأخرى التي تواجد فيها الزعر سوق باب الزهومة وسوق السيوفيين وسوق الحريريين وسوق القناديل . (٤)

وأخيراً فإن الزعر شكلوا إحدى الشرائح الاجتماعية الهامة التى كانت فاعلة بشكل كبير ، نُظر لها بشكل دونى إما لأدوارهم السلبية فى المجتمع ، أو للنظرة الطبقية التى شغلت المصادر التاريخية ، ومهما كان الأمر فإن الزعر كانت إحدى القوى المهمشة الفاعلة التى أصبحت صداع مزمن وأزمة حقيقية واجهت المجتمع فى مصر فى العصر الفاطمى .

---

(١) حسين نصار : الثورات الشعبية في مصر الإسلامية ، شركة الرسالة للصحافة والنشر ، ٢٠١٢ ، ص ٨٩.

(٢) ابن الحاج ، المدخل إلى تنمية الأعمال بحسن النيات ،القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٠؛ محمد إبراهيم : مجتمع القرافة في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨- ٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م) ، بحث منشور بمركز البحوث والدراسات التاريخية ، عدد ٢٥ ،٢٠١٦م ، ص ٢٠٣.

(٣) سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ٨٣ ؛ محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥٠٧م)، الهيئة المصرية للكتاب،١٩٩٩م، ص ٥٦ .

(٤) محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية،ص٢٧-٢٩.

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم :

الجوهري : اسماعيل بن حماد الجوهرى (ت ٣٩٣ه/ ١٠٠٢م)
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م ، ج١ ، ص٢٧٨ ، ٢٧٩.

الزبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرازق المرتضى (ت١٢٠٥ه / ١٧٩٠م)
تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالفتاح الحلو، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٨٦م ، ج٥ .

الفيروز آبادي :
القاموس المحيط ، ط٣، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٣٠١هـ ، ج١ .

ابن منظور : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١ هـ / ١٣١١م)
لسان العرب ، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨ .

المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٩ م

المصادر :

ابن الحاج : أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى (ت ٧٣٧هـ/١٣٦٦م)

المدخل إلى تنمية الأعمال بحسن النيات ،القاهرة ، ١٩٦٥ .

ابن إياس : محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠ه /١٥٢٣م)
بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م .

ابن أيبك الداودرى: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت ٧٣٦ه /١٣٣٥م)

كنز الدرر وجامع الغرر ،تحقيق صلاح الدين المنجد،القاهرة،١٩٦١م، ج٦ .

ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين(ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له محمد حسين شمس الدين ، بيروت- دار الكتب العلمية، ١٩٧٣ .

ابن دقماق: ابراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)

الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بيروت ، د.ت، القسم الثاني .

ابن الطوير : أبو محمد المرتضي عبدالسلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧ه /١٢٢٠م)

نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين، حققه وقدم له أيمن فؤاد سيد، (النشرات الأسلامية، يُصدرها لجمعية المستشرقين الألمانية، أولريش هارمن؛ واريكا كلاسن، دار النشر فرانتس شتاينر شتوتغارت، ١٩٩٢م.

الأنطاكي : يحيى بن سعيد بن يحيى (ت ٤٥٨هـ /١٠٦٥م)

تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، جروس بروس طرابلس لبنان ،١٩٩٠م، ج١ .

البقاعي : ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت٨٨٥ه /١٤٨٠م)

إظهار العصر لأسرار أهل العصر المعروف بتاريخ البقاعي، تحقيق محمد سالم بن شديد العوافي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٩٩٣م ، ج١.

بيبرس المنصوري : ركن الدين بيبرس المنصورى (ت ٧٢٥ه /١٣٢٤م)

التحفة المملوكية في الدولة التركية ، تحقيق عبد الحميد حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

الطرطوشي :
سراج الملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٩٥ .

الفيومي :
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق خضر الجواد، مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٨٧م.

المسبحى : الأمير المختار عز الملك أبو عبيدالله محمد بن عبيدالله بن أحمد بن اسماعيل(ت ٤٢٠ه /١٠٢٩م)
أخبار مصر فى سنتين ، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨١م.

المقريزى : أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني ، تقي الدين(ت: ٨٤٥هـ ١٤٤١م)
-اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٩٦م

-إغاثة الأمة بكشف الغمة ، دراسة وتحقيق كرم فرحات ، عين للدراسات الانسانية،٢٠٠٧م .

-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، بيروت – دار الكتب العلمية ،١٩٩٨م، جـ ١

ثالثاً : المراجع العربية والمعربة :

أحمد السيد الصاوي :

مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج ، دار التضامن للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨.

أمينة أحمد إمام الشوربجي:

رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، القاهرة ، ١٩٩٤م

تيسير شادي:

الفساد في العالم الإسلامي دراسة سياسية حضارية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)،دار التعليم الجامعى.

حسين نصار :

الثورات الشعبية في مصر الإسلامية ، شركة الرسالة للصحافة والنشر ، ٢٠١٢ .

سعيد عاشور :

المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م .

بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ م .

غوستاف لوبون :

سيكولوجية الجماهير ، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

كريمة محمد :

المفهوم اللغوى للعامة ، بحث منشور بكتاب ثقافة الفقراء " دراسة في بيئة وجذور الثقافة المصرية "، الهيئة العامة للكتاب،٢٠٠٧ .

محاسن الوقاد :

الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، سلسلة تاريخ المصريين ١٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م .

محمد النجار :

حكايات الشطار والعيارين ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨١م .

محمد عبد المولى :

العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي، مؤسس شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ت.

محمد فياض :

التشيع الشعبى فى العراق ، روافد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٦ .

محمود إسماعيل :

سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ، سينا للنشر- الانتشار العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .

سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ، طور الانهيار(٤) دار مصر المحروسة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥.

المهمشون في التاريخ الإسلامي ، دار رؤية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

نجوى كمال كيرة :

حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي "٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م" ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

رابعاً : المقالات والبحوث :

حسن عياش:

حركة الأحداث في دمشق خلال الحكم الفاطمى٣٥٩-٤٦٨هـ/٩٦٩-١٠٧٥م،بحث منشور بمجلة جامعة النجاح للأبحاث ،العدد٢٣،٢٠٠٩م .

محمد إبراهيم:

مجتمع القرافة في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨- ٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م) ، بحث منشور بمركز البحوث والدراسات التاريخية ، عدد ٢٥ ،٢٠١٦م .

محمد فياض :

عناصر النهب واللصوصية فى مصر فى العصر الفاطمى ، بحث منشور فى مجلة المؤرخ العربى ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠١٥ .

رابعاً : الرسائل العلمية :

أحمد عبد السلام ناصف :

دور الصوفية في صد الحملة الصليبية على مصر والشام ، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد ،جامعة طنطا، ١٩٨٩م .

رشا فؤاد محمد حسن النمكي:

الزعر والحرافيش في مصر في العصر المملوكي "٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٢م .

سليم الشريرى :

الهبات والعطايا في مصر زمن الفاطميين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة طنطا ، ٢٠١٧ .

طارق محمد المرسي:

الزوايا في العصر المملوكي بالقاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م،

محمد غنيم محمد الصياد :

الطواف الحرفية ودورها فى الحياة العامة فى مصر الاسلامية في عصر الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٦

Lights on some practices of terror in Egypt during the Fatimid period

(358 - 567 AH / 968 - 1171 AD)

By

Ashraf Khalil Ibrahim Khalil Shaalan

Prof. Dr. Ahmed Abdel Salam Nassef

Professor of Islamic History and Civilization, Faculty of Arts, Tanta University

Dr.. Mohamed Elsayed Fayyad

Assistant Professor of Islamic History and Civilization, Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:

The social history that confronts the marginalized and downtrodden elements is the new history, and it is the real history that portrays the main actors in the movement of history. In fact, this paper discusses some features of one of the elements of the Muhamasheen groups, namely the panic, whose existence constituted a chronic headache in the head of the authority and society.

This paper can also be described as discussing a topic of particularity, and the first privacy comes from being related to the history of the common people and the marginalized. As for the second privacy, it comes from being dating a country of a special nature in history, which is the Fatimid state, specifically the social life of the Fatimid state. This life is nothing but a group of

individuals. The groups live in a limited area or environment The landmarks are linked to a time, and it is natural for the climate of this environment to arise in the climate of this environment multiple groups of phenomena, trends, and manifestations of behavior in it, where their emotions meet, their views converge, and their desires differ. In light of the different systems, society groups appeared in Egypt in The Fatimid Era The Egyptian society in the Fatimid Era was divided into two classes in terms of the general framework, the private class, that class that was at the top of the social hierarchy and enjoyed a luxurious life, wealth and a quiet life.

As for the definition of za'ar, za'ara is the ferocity of the character, and the man of za'arour is of bad character, and the man of za'arour has little money.

Keywords: Al-Zaar, the Fatimid period, the Muhamasheen.